

## الدرس الثالث عبد المطلب و هاشم

الحمد لله وكفى والصلاه والسلام على النبي الكريم المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه. طلابنا الكرام حياكم الله وبياكم ومرحبا بكم احبيكم بتحية الاسلام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. عودة لنسب النبي صلى الله عليه وسلم. نستهل حديثنا عن شخصية قرشية مهمة ومحورية كان لها الشأن الكبير في ادارة الحياة المكية. فقد روت كتب السيرة انه بينما كان عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم وكافله بعد وفاة والديه بينما كان نائما في حجر اسماعيل اتاه هاتف في منامه وامره بحفر ماء زمزم من جديد وحدد له مكانه لانه مذ ثم ومذ تم ردمه من قبل جرهم اختفى تماما ولم يعثر على مكانه طيلة سنوات طويلة. وبالفعل توجه بصحبة ابنه الحارث الى المكان وبدأ في الحفر، ما أثار عجب قريش وحيرتها ولكنه صمم على اتمام عمله وظل يحفر حتى ظهر الماء مرة اخرى من جديد. ومنذ ان اعاد عبدالمطلب حفر بئر زمزم مرة اخرى لم تجف ولم تجف او ينقطع ماؤها حتى الان وهذا اعجاز رباني. زمزم لم تنضب منذ اربعة الاف سنة فبعض المصادر تعود بولادة سيدنا اسماعيل عليه السلام الى سنة الف وتسعمائة وعشرة قبل الميلاد. وعبد المطلب كان قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لان ولد له عشرة نفر ثم ولد له عشرة نفر ثم بلغ بلغوا معه حتى يمنعوه لا يذبحن احدهم الله عند الكعبة. فلما تكامل بنوه العشرة وعرف انهم سيمنعون اراد ان يفي بنذره فجاء تستقسموا بالقдах او الازلام عند هبل فخرج القدح على ابنه عبد الله وكان اصغر ولده واحبهم اليه فاراد ان ينفذ فيه نذره فقامت اليه قريش من انديتها فمنعته وأشاروا عليه ان يذهب الى الحجاز فان بها عراف لها تابع فيسأله عن ذلك ثم انت على امرك ان امرتك بذبحه فذبح وان امرتك بامر لك وله فيه مخرج قبلته فانطلقوا حتى اتوا المدينة فوجدوا العراف وهي سجاح بخير فركبوا حتى جاؤوها فسألوها.

وقص عليه عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم قد جاءني الخبر كم فيكم قالوا عشره من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها

وعليه بالقдах فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فان نحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم. وعند عودتهم ضربوا. فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا. ثم ضربوا. فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا. فلم يزالوا يزيدون عشرا عشرا. ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة. ثم ضربوا. فخرج القدح على الإبل. فكان أن زال الإشكال. ووجد. ووجد عبد المطلب مخرجا فنحر مائة من الإبل. ونجا ابنه عبد الله ابو النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام انا ابن الذبيحين والمقصود اسماعيل عليه السلام وابوه عبد الله. وكان عبد المطلب محبا لابن ابنه محمد صلوات ربي وسلامه عليه تعاوده منذ وفاة ابيه وقد بعثه مرة لارجاع الابل الضالة فتأخر في عودته فندم ندما شديدا وعند عودته قال والله لا ابعتك الى اي مكان. وكان ينام بجانبه ولا يفارقه. وقد توفي عبد المطلب عبدالمطلب ويبلغ الثمانون سنة ونيفا وكان عمر النبي صلى الله عليه وسلم انذاك ثمانى سنوات واوصى به الى عمه ابي طالب.

وعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم هو ابن هاشم فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. وهاشم سيد قريش واسمه عمر بن عبد مناف والمتوفي في غزه اليه ينسب الهاشميون وقد تزوج سلمى من اهل يثرب من بني النجار وهو اول من اطعم الثريد بمكه وكان موسرا غنيا ويعمل بالتجاره وكان يتولى امور السقايه والرفاده لان عبد شمس كان سفرا قلما يقيم بمكه وكان مقلا من المال ذا ولد كثير وكان هاشم مسيرا وحدث ان مرت فتره جدد وقط بمكه عانت منها قريش. فرح الهاشم الى فلسطين فلسطين الابه العاصيه نصرها الله واعزها واعلى مقامها ونصر مجاهديها. حيث اشترى كمية كبيرة من الدقيق فقدم به الى مكة حيث صنع منه خبزا ثم قام بذبح الذبائح وصار يهشم الخبز لقومه وصنع لهم الثريد وهو الخبز المقطع في المرق فأطلقوا عليه اسم هاشم بدلا من اسمه الأصلي عمر. وارتفع شأن هاشم في ارجاء الجزيرة العربية، فقد كانت قريش في تلك الفترة تمر بمراحل من الجوع والفقر الشديد حتى وصل الامر ببعضهم ان اخذ اهل بيته لمكان يسمى الخباء ويبقى فيه حتى يموتوا كلهم من الجوع. وهذه العادة في الجاهلية كان اسمها الاعتذار اذ تقدم تلك العوائل على المقابر الجماعية بعيدا وعلى افراد وكنوع من الاستسلام والرغبة في الخلاص وذهابهم لساحات الموت ما هو الا اعلان عن وصولهم لمرحلة الانهيار. انقذ الله تلك الانفس باحد

كبار التجار وهو هاشم بن عبد مناف حين جمع فقيرهم وغنيهم فقال لهم أنتم احدثتم عادة تذلون بها بين العرب وأنتم أهل بيت الله والناس لكم تبع.

تلك الكلمات وقعت في قلوب قريش فاستشعرت مكانتها بين العرب وخافت أن ينتقص منها شيء فاستجابت لنداء الأخوة والنسب فكان الحل من هاشم بن عبد مناف. أولاً بتدخل الأغنياء لحل المشكلة مؤقتاً حيث دعاهم لتقسيم أموالهم على فقرائهم حتى تساوى فقيرهم وغنيهم ومع ذلك علمهم اصول التجارة وارشدتهم لرحلة الشتاء والصيف الى اليمن والشام فهو اول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف التي جاءت في قوله تعالى لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فكانت رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام. وهو تدبير جيد لرحلتهم في الصيف الى الشام لان الشتاء بارد هناك. وهم يصلون في تجارتهم الى بصرى الشام وربوع القسطنطينية تركيا اليوم. واما رحلة الشتاء فكانت نحو الجنوب في اتجاه اليمن وبلاد الحبشة. فقريش قديما كانت لا تتاجر الا مع من ورد عليها مكة في المواسم وبيعض الاسواق كسوق ذي المجاز. احد الاسواق العربية يبعد عن مكة عشرون كيلو متر وهو سوق قبيلة هذيل. وهناك سوق عكاظ وسوق مجنة شمال مكة. وهذه اكبر ثلاث اسواق عربية في الجاهلية تتجمع فيهم العرب للتجارة والخطابة والقاء الشعر. وفي غير ذلك كانت العرب في الاشهر الحرم لا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها. فكان هاشم بن عبد مناف اول من خرج الى الشام ووفد الى الملوك وابعد في السفر ومر بالاعداء وعقد معهم الايلاف وهو العهد والامان فنقول الف بين فريقيين تأليفا اذا اوقع الالفه وجمع بينهما بعد تفرق ووصلهم ومن ذلك المؤلفة قلوبهم امر النبي بتحالفهم اي بمقاربتهم واعطائهم من الصدقات ليرغب من ورائهم في الاسلام ولكي لا يكونوا مع الكفار على المسلمين.

والائتلاف اتفاقية او عهد بينهم. حيث كان هاشم يقدم لرؤساء القبائل من الربح ويحمل لهم متاعا مع متاعه ويسوق اليهم ابل مع ابله ليكفيهم مؤونة الاسفار. ويكفي قريشا مؤونة الاعداء. فكانت ان اخصبت قريش واتاها خير على الشام واليمن والحبشة، وحسنت حالها وطاب عيشها الذي ذكره الله. كان هذا الايلاف احد النماذج المتطورة في عقد الاتفاقيات بين الدول وفي رقعة جغرافية واسعة

شملت شبه الجزيرة العربية واطراف اليمن وتركيا والشام في مسألة حرية التجارة وعقود الامان في تلك الفترة الزمنية. فكان احد مؤسسيها جد النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يبرز لنا ما كان يتسم به اجداد النبي صلوات ربي وسلامه عليه من مكانة عالية وشرف وكلمة مسموعة. وفي حقيقة الامر هذا الايلاف وهذا الاتفاق يمثل نقلة نوعية في التطور الحضاري والسلوك الاجتماعي من مجتمعات غير امنة وطرقا مقطوعة وتكالب القوي على الضعيف الى قبائل ومجتمعات متفاهمة غلبت المصلحة العامة فأمنت الحدود والطرقا. فكان الايلاف حدثا مهما جدا في تلك الحقبة الزمنية ضرب صيته من الشمال الى الجنوب وحيث كانت قريش تعتمد على اسواق صغيرة تدر عليها بعض الارباح الصغيرة، اصبحت بعد الامن والسلام تتعامل بارقام كبيرة وقوافل ضخمة حتى كانت القافلة تبلغ نحو الف وخمسمائة الى الفين وخمسمائة بعير تجوب العراق والشام واليمن والجزيرة محملة بالسلع الداخلية لجزيرة العرب كالاسواق والثياب والاسلحة والجلود او تلك المستوردة من خارجها كالعطور والبخور من الهند والمنسوجات الكتانية من مصر وغيرها. اذ فتحت المجال لمن اراد ان يشارك في القافلة كل وطاقته، وبذلك توسع الربح وعمت فائدته عددا كبيرا من اهل مكة وغيرها من القبائل.

فرجع بذلك من مستواه الاجتماعي كما ضمن لقوافل الامن والسلامة وسير مكة مكانا مقصودا للعرب. وقد ساعد هاشم وهو صاحب الفكره في هذا الايلاف اخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وهم بنو عبد مناف وكانوا يسمون المجاورين. فاما هاشم فقد اخذ عهدا من ملك الروم اذ انه كان قد اعتاد السفر للتجاره في الشام سواء في سوقها غزه او احيانا في بعض اسواق الشمال مثل بصرى. وتقول الروايه انه تعمد عند دخول اسواق الشام ان يذبح كل يوم ذبيحه ويصنع طعاما لكل القافله وهو امر ملفت للنظر حتى بلغ صنيعه احد ولاء الروم الذي طلب احضاره اليه ولقائه. وبعد بضع لقاءات معه اعجب بشخصيته فاقترح هاشم على الحاكم البيزنطي ان يمنحه كتابا يفتح اسواق الشام امام التجاره الاتيه من مكه وان يمنح التجار المكيين تسهيلات في المرور والتحرك بين المدن الشاميه التي يحكمها البيزنطيون وكذلك فيما يخص المكوس الجمارك المفروضه عليهم وان يفد التجار من رعايا بيزنطه على اسواق العرب بتجارتهم على ان يضمن هاشم تامين الطريق لتلك التجاره بين مكه والشام ذهابا وايابا. فقد قال له محاورا ايها الملك ان قومي تجار العرب فان رايت ان تكتب لي كتابا تؤمن تجارتهم فقد فيقدموا عليك بما مستطرف من ادب الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو ارخص عليكم. ثم عند عودته

من رحلته بهذا الكتاب مر به على القبائل المسيطره على طريق الشام ومكه وقدم لكل منهم عرضا تتولى القافلة المتوجهه الى الشام نقل تجاره تلك القبائل المتمثلة في فوائض انتاجهم البسيط من التمور والجلود وغيرها دون مقابل للنقل وتسوق تلك التجارة في الشام ثم تعود اليهم برأس المال كاملا اضافة الى ارباحه مقابل ان تتولى كل قبيلة حماية وخدمة القافلة خلال مرورها من منطقة نفوذها.

وان لم تكن للقبيلة تجارة فانها تحمي القافلة بمقابل مادي. وبالفعل حصل هاشم على موافقة زعماء القبائل على هذا الاتفاق. من هنا بدأت مكة تصبح مركزا رئيسيا لتجارة الشام في جزيرة العرب، بل وصار التجار البيزنطيون يتوافدون عليها ويدفعون لسادتهم ضريبة العشر مقابل التجارة في اسواقها وحصولهم على حق الحماية والخدمة. جدير بالذكر ان بيزنطة لم تنظر لهذه الاتفاقية كمكسب تجاري فحسب بل انها قد وظفت ففتح اسواق وسط الجزيرة امام تجارتها لصالح شبكات من الجواسيس بثتها في تلك الاسواق لنقل اخبار مناطقها الى السلطات. والوقوف على اي تحركات من شأنها اغلاقها خاصة من جانب الفرس. واخذ المطلب اخو هاشم عهدا من ملوك حمير. فقد كان نشاطه بين زعماء قبائل اليمن. حيث اعطوه العهود المطلوبة. وكان يقال للمطلب واخوه هاشم البدران لجمالها. فهم هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم. والمطلب هذا. جد الامام الشافعي محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب. واخذ اخوهم نوفل عهدا من كسرى فقد سافر الى بلاد فارس ليعقد اتفاقا مشابها مع الأكاسرة ومع ملوك الحيرة بالتبعية مما فتح اسواق العراق امامه واخذ عبد شمس عهدا من النجاشي مقدما له نفس عرض هاشم لقيصر الروم وبالفعل حصلوا منه على عهد مشابه وفتحت اسواق الحبشة امام التجارة المكية فكان تجار قریش يختلفون الى هذه الامصار بعهود هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم.

والقارئ لهذه الفترة يدرك ان الايلاف كان قفزة واسعة اذ انه بدأ كمشروع بين طرفين هدفه خدمة قبيلة واحدة في بلدة واحدة ثم اتسع ليمثل شبكة تجارية واسعة ونشاطا انسانيا كبيرا تداخل مع الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية والثقافية بشكل عميق ومؤثر. فمجرد تتبع مختلف اوجه حياة العرب قبل الايلاف ومقارنتها بها بعده يجعلنا نقف على الاثر العظيم لهذا النظام الذي يمكن ان نصفه

المبتكر بمقاييس عصره. ونحن نرى اليوم ارتباط كل دول العالم بالكثير من هذه الاتفاقيات التجارية كاتفاقية منظمه التجاره الحر. التجاره العالميه التي تأسست في. الف وتسعمائة وخمسة وتسعون. واتفاقية التجارة الحرة كاتفاقية اقامة منطقة التبادل التجاري الحر بين الدول العربية واتفاقية التجارة الحرة بين دول الاتحاد الاوروبي واتفاقية التجارة الحرة بين دول مجلس التعاون الخليجي وغيرها الكثير التي جعلت الشعوب المختلفة في عاداتها وتقاليدها ولغاتها تنصهر معا في بوتقة واحدة وترتفع الحواجز بينها مما يساهم في رفع معدلات النمو الاقتصادي. هذا بالضبط ما قام به هاشم بن عبدالمطلب واخوته في تلك الحقبة من احداث اتفاقيات للتجارة الحرة ضمن كل من اثيوبيا واريتريا واليمن وشبه الجزيرة العربية كامله ودول الشام وتركيا. ولك ان تتخيل حجم تلك الاتفاقيات وحجم المبادلات التجارية بالمقياس الزمني لتلك الفتره حتى قال تعالى في كتابه العزيز لايلاف قريش ايلافهم رحله الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف فكان ضمانا للامن الغذائي والامن الاجتماعي لسكان الحرم المكي ومن جاورهم. الى هنا نكون قد انهينا درسنا. اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم استودعكم الله. السلام عليكم ورحمه الله تعالى وبركاته.